فريد العشاق عازف على العود و مغني

مسيرة موسيقي عربي في بروكسيل منذ السبعينيات

مدينة طنجة – مواجهة المضيق

يمكن القول بأن قصة حياة فريد بدأت في المغرب من يوم مولده بتاريخ 27 من شهر سبتمبر عام 1954، من أسرة تحمل لقب "العشاق" ، طنجوية الأصل كما يشهد له بذلك إسم دربين اللذين يحملان هذا اللقب في مسقط رأسه. و سرعان ما ظهر ميوله للموسيقى منذ السن الباكر. فأول ما استهل به من الآلات كان المزمار ثم تلتها آلات موسيقية فطرية متعرجة تكاد تكون للأطفال. و في سنة1964، أي عندما بلغ السنة العاشرة من عمره، مر عبر برنامج إذاعي للأطفال كمغني.
لكن ردود فعل اوساطه كانت في اتجاهات مختلفة ولم تكن دائما إجابية، خصوصا و أنه تعرض لشحاذ العين في الأيام التي تعاقبت، مما ادى بالام الحنون ان ترى شهرة إبنها بعين شريرة .و في الوقت الذي كان على وشك إيجاد طريق للفن وذلك باهتمامه بآلة العود، حل بأسرة "العشاق" حدث عظيما ألا و هو الذهاب إلى بلجيكا والإقامة بها و بالذات إلى بروكسيل. وقد بدأ تدربه على الآلة خلال العطلة الصيفية بالمغرب. وشاء الحظ ان هناك ثلات رجال وهم أصدقاء لوالده، لم يبخلوا عن تقديم يد المساعدة له و التأييد الكامل في هذا الميدان، ألا وهم: احمد لعروسي، و محمد التوزاني، حلاق المهنة مشهور بحي المصلى و أخيرا العربي أكريم، الملقب غالبا العربي السوسي و هذا الأخير يعمل اليوم كأستاذ بمعهد الموسيقى بطنجة..

فريد في العاشرة من عمره، شعور بالجد

بعد سنتين، تغير الديكور. وجوده في بروكسيل، لكن ليست الآلة المناسبة.

وفي السن الخامسة عشرة من عمره تلقى فريد عودا جديدا، ارسله له السيد احمد العروسي من المغرب.وقد التحق بمعهد الموسيقى التابع لبلدية "سان جيل" درس خلالها السولفيج لمدة ثلاثة سنين بدون توقفه عن التعليم المدرسي العام بثانوية بول دلفو. وفيما بعد، تلقى تكوينا جديا في الاختزال على الالة الكاتبة، و المراسلة التجارية و الاعلامية. ولكن في نهاية المطاف، كانت الموسيقى اهتمامه الاخير وفوق كل شيء.

وقد تعلم بنفسه آلة العود بالاستماع للموسيقى الشرقية مبتدئا بالموسيقى الشعبية المغربية ثم الفنون الكلاسيكية الكبيرة للاغنية المصرية. وقدم له أخوه مساعدة جليلة في هذا الميدان حيث كان يشتغل كبائع في إحدى المحلات المخصصة للإسطوانات العربية. وشيئا فشيئا و بفضل العديد من المطالعات للكتب، فقد أنمى معارفه النظرية لمختلف الانماط التي تعتبر ثروة هذه الموسيقى.

وبدأ يبرز هذا الشاب الموسيقي من خلال احتفالات الاعراس و الاعياد و المناسبات في بروكسيل؛ وأثناء إجازاته الصيفية في المغرب لم يبقى مكتوف الايدي و إنما كان يمارس الموسيقى بجوار صديقه و مرشده السيد العربي السوسي أكريم. و في سنة 1974، ساهم في برنامج "مواهب" للتلفزة المغربية بالرباط . وكان المقصود من هذا البرنامج إحياء مواهب خفية و التي كشفت عن فنانين كسميرة بن سعيد. و في تلك المناسبة، فقد عزف على آلة العود أغنية "هلت ليالي" للموسيقار فريد الاطرش.

و في مستهل زمن الحانات أو المقاهي الفنية وولائم العشاء، تخوف والد فناننا من دخوله في عالم لايطمئن إليه البال. لكن فريد سيظل مكتوما و منغلقا لاوهام الحياة الليلية. فالموسيقى وحدها هي التي كانت تشغله.

صورة فريد في السنةالعشرين من عمره نجميات عوده امتدت إلى سترته.

.صورت فريد في جو من الرقص.

و بالنسبة لموسيقي ما، فإن الحانات أو المقاهي الفنية أعطته الفرصة و المجال للعزف كل يوم (أو بالاحرى كل الليالي) خلال ساعات طويلة حصل من خلالها نماء كبير لفهرس ضخم .

ورغم ان الظروف لم تكن في منتهى المثالية، فهذا ليس أقل أهمية من صعوبة مدرسة الثمتيل. و خلال سنوات فقد أحيى فريد ليالي و ليالي في العديد من الاندية توقظ اسماؤها ذكريات في نفوس البعض، و نذكر منها في بروكسيل : مايواي (طريقي)، الف ليلة و ليلة، الكارواش، الخيمة، الواحة، برج الحسن، وردة الرمال، النيل، الاهرام، الشمس، المنيا، في جطي، مولان روج (الطاحونة الحمراء)، النجمة، الباشا، البيبلوس، البيروت، الأمير أو بيرغال!

و عندنا ايضا سان لومبرط في مدينة لييج ، الواحة، الزهور و اسطمبول في مدينة انفرس ، الدار البيضاء (كزبلنكا) في لومين و أيضا في فرانكفورط، المراكش في بون، الإزمير و سوبر سطار و عمر الخيام في امسطردم...

و خلال هذه السنوات الهوجاء، فإن فريد و أصحابه قطعوا مسافات عديدة للتمثيل في عدة أمكنة متنوعة. وقد جمع حوله العديد من الموسيقيين رافقوه خلال سنين طويلة نذكر منهم عازفي الكمان لحسن الدكالي و عبد السلام المواج و إبراهيم الصروخ و حسن المرشاني و عبد لمجيد لعمارتي و السوري تيسير عقلة(رئيس الفرقة الموسيقية بالإذاعة و التلفزة الجزائرية سابقا)؛ و الكمانجائي أسعد بن عبد الله؛ و من المزماريين محمد التمسماني و التونسي عصفور؛ و قارعي الآلات الإيقاعية ممادو و حسن البعناني و المصري عربي زيكا و السوري هيثم حكوم و المرحوم عبد الكبير الإدريسي منحدر من أسرة فنانين مشهورين ؛ وعازف على الأكرديون التونسي فوزي بن علايا ؛ عصمان وصفي و غيرهم لامجال لذكر الجميع لأن القائمة طويلة.

صورة موسيقى و رقص

صورة حفلة موسيقية في بروكسيل1978

و كانت للأستاذ فريد فرصا رافق فيها العديد من المطربين و المطربات. ففي النوادي: لطيفة رأفت في أول مرحلتها، و فتح الله المغاري، و جليلة مكري، و أحمد الغرباوي، و الجزائري عبد القادر شاعو.

و أما في الساحة التمثيلية فقد صاحب أيضا العديد من المغنيين و المغنيات نذكر البعض منهم: المرحوم محمد الحياني، و حليمة المراكشية، و الحاجة الحمداوية. وفي جولته، فقد صاحب أيضا جليلة حافظ وهي مغنية وراقصة في نفس الوقت و ممثلة بجوار محمد القدميري.

و مع عبور السنين، تعرض الأستاذ فريد العشاق لمناسبات تقابل من خلالها مع كبار و مشاهير الفنانين. وسرعان ما عبر الفنان المغربي عبد الوهاب الدكالي أمام الجمهور عن ارتياحه للأستاذ فريد العشاق بعد ما سمع له منفردا على آلة العود أغنيته "لهلا إيزيد اكثر" و التحق به على المسرح ليغني. أما المطرب الكبير السوري صباح فخري، فقد آثر ان يدعوه على مائدته و طلب منه أن يرافقه في قطعة موسيقية وتقسيم نغمي. هذه الذكريات غالية ذات قيمة خصوصا بالنسبة لموسيقي، مما يبرهن هذا على أن كبار الفنانين لم يفقدوا ذاتيتهم و بساطتهم...

ولقد سعد فريد غاية السعادة في سنة 1980 بلقائه مع الفنان العبقري محمد عبد الوهاب و هو رجل رقيق الإحساس وفي منتهى الطيبة و هو رجل يملك حس النكتة.

صورة فريد العشاق مع الحاجة الحمدوية في جولة.

صورة فريد العشاق أثناء التكرارمع محمد الحياني.

صورة فريد العشاق مع الفنان الكبير محمد عبد الوهاب في باريس.

و في السبعينيات كان فريد العشاق أول رائد و ممثل للموسيقى العربية وعلى وجه الخصوص الموسيقى المغربية بالمهجر، لا سيما في الأفراح العائلية التقليدية و أعياد الشباب و أعياد المسيرة الخضراء، و أعياد العرش و أعياد ميلاد الملك...

و قد شارك و ساهم أيضا في هذه الأنشطة ذات الطابع الاجتماعي و الخيري وقد أعطى للجالية المغربية رابطة ثقافية و عاطفية جعلتها أكثر ارتباطا بالبلد الأم في الوقت الذي كان عدد الموسيقيين ضئيلا جدا. ولقد دعي برفقة أصدقائه ليبرز في جميع أنحاء البلد وفي هولندا. وقد ساهم في إحياء برامج على أمواج إذاعة ميدي واحد(1)، خصوصا في شهر رمضان وهي إذاعة مسموعة جدا وعلى رأسها السيد حكم. وأثناء إجازاته كان يساهم في أنشطة برامج إذاعة طنجة و التي كانت تشرف عليها أمينة السوسي و محمد العربي الزكاف و فاطمة عيسى و زهور الغزاوي و حميد النقراشي، و يمكن القول بلا نقاش أنه لعب دورا في حياة المغتربين المغاربة في بلجيكا. وهناك العديد من العائلات قام فناننا بإحياء أفراحها بمناسبة زفاف أبنائها كما سبق له أن أحيى زفاف آباء الأبناء في الماضي. وهذا الدور قد نسيه أو تغافل عنه الكثير من الناس و هو جدير أن يذكر حتى لا ينسى و يستحق كل تكريم، فمن يدري سيأتي اليوم...؟

من الأعلى إلى الأسفل:

صورة حفل موسيقى بمناسبة عيد العرش.

صورة حفل زفاف.

صورة جوق عازف في بستان.

و في العديد من المناسبات، استدعي فريد كعازف على آلة العود في وسط فرق موسيقية تركية وقد أنشأ بذلك جسرا يربط الجاليتين المغتربتين الكبيرتين. و أنيطت له المهمة في أن يقدم الموسيقى العربية و خصوصا الموسيقى المغربية إلى الجمهور البلجيكي في الوقت الذي لم تكن "موسيقات العالم" رائجة. وقام هذا العمل أثناء أحدات رسمية (مثل تدشين القطار البلجيكي المتوجه إلى المغرب. رمز جميل!)، و الأعياد الخاصة، و تدشين المعارض. وفي سنة 1983 أستدعي الأستاذ فريد في البرنامج التلفزيوني الشعبي "تاشيرة للعالم"، كانت تقدمه أنذاك الفقيدة بول هرمان. و خلال البرنامج المخصص للمغرب قدم نغمات مرتجلة على آلة العود. و في سنة 1984، شارك في مشروع تجديدي بالنسبة لذلك الوقت. لقد عزف قطعة موسيقية لتلفزيون ب ر ط القناة البلجيكية الفلامنكية مع فريق الموسيقى القروسطي **وطر اسمكنس "لاس قنتيقاس دي سنطا مرية"** للحكيم ألفونس العاشر وأدخل قطعة أندلسية مستمدة من نوبة رصد الذيل.

فهذا النموذج من المحاولة لم يجد للأسف استجابة من طرف الجمهور إلا في المستقبل البعيد.

من الأعلى إلى الأسفل:

صورة على مسرح "تأشيرة للعالم" في سنة 1983.

صورة برفقة الهيئة الديبلوماسية بفندق هلطون.

صورة في الإذاعة و التلفزة الفلامنكية مع فريق وطر اسمكنس في سنة 1984.

و لإثراء فهرسه الموسيقى، فإن فريد لم يسأم أبدا من ان يتعاطى لتعليم قطع موسيقية جديدة، و غالبا بعد ظهورها، فقد ضمن بذلك طريقة غير مباشرة لترقيتها و رواجها. لكنه لم يكتفي بعزف القطع المعروفة، فمواهبه المرتجلة في غاية التذوق و قيمة جدا و طبيعي أنه سيعكف على تركيب قطع موسيقية أخرى. و في سنة 1985، قام بصياغة "العرش المجيد" معتمدا في ذلك على نص محمد العلمي، و هو نشيد تكريم لجلالة الملك الحسن الثاني و قد قام بتأديته برفقة مجموعته و أذيع بالاذاعة المغربية. و في نفس الفترة الزمنية فقد أصدر فناننا أسطوانتين من نوع 33 دورة تم تسجيلها ببلجيكا برفقة جوق يرأسه لحسن الدكالي و أيضا شريطا كان مرفوقا فيه بجوق المعهد الموسيقي لمدينة طنجة تحت قيادة المرحوم محمد البعناني.

فرید ملحن و مغنی: نوت و اسطوانات

و بعد العديد من السنوات من العمل في ظروف ملائمة في بعض الأحيان، و لكنها في الغالب كانت صعبة جدا في وسط لا يرحم و الصدق فيه مفقود مما جعله يتسبب له بالملل تدريجيا. فبالنسبة للرجل الفنان الذي يريد أن يعطي ما هو أعز ما لديه، فضروري أن يشعر بحافز و تشجيع. لكن و يا للأسف فالحال في مثل هذه الأمكنة و الأندية متدهور. كما أن الموسيقى الشائعة، أخذت تتغير هي بدورها و يلاحظ الإبتعاد عن ما هو كلاسيكي و الموسيقى المتبعة أصبحت أكثر ضجة.

فبذيوع المركبات الصوتية و علب الإتزان و التناغم بدأ عدد الموسيقيين يقل وقد ألحق هذا ضررا لحساسية و انفعالات الفنان في تأديته للقطعات الموسيقية. و بدأت معانات الأستاذ فريد تزداد أكثر فأكثر و اضطر في ان يبحث عن نماذج من نوع أنشطة أخرى. و تلك كانت رغبته في الدفاع عن الموسيقى التي يحبها و يقدمها لجمهور يحسن تذوق هذا الفن. و قد أقام حفلا موسيقيا بجامعة بروكسيل خلال الأسبوع المخصص للثقافة المغربية جعله يحصل على قناعة و اطمئنان و أكثر إنبساطا من الأندية اللتي عرفها و اللتي سببت له انزعاجا أكبر حيث لم يعد يحب ذلك الجو.

فالتجارب الجديدة جعلته أكثر إنتعاشا كما هو الحال في مشاركته للحفل المسرحي "الأقوال" بقيادة رحيم العسري أو دوره مصاحب موسيقي للرقص الشرقي "طرب" بياطريس قرونيارد. كما أنه يحب العزف برفقة موسيقيين قادمين من آفاق أخرى كما في الفلامنكو.

صورة فريد أثناء عرضه بجامعة بروكسيل الحرة.

كما أنه لا يبخل في أن يعبر عن شعوره للجمهورفي ما يخص مستقبل و تجديد الموسيقى، العربية لا سيما الموسيقى المغربية التي يجب أن تكون دائما قائمة على أساس المعرفة و الإحترام لتراث الماضي. و يلاحظ أن البعض يعتقد أن الموسيقى لا تكون عصرية إلا إذا ضربنا صفعا عن الماضي. لكن لو أننا سايرنا هؤلاء، لحصلنا على موسيقى لا قيمة لها و تكون غير مثيرة للإهتمام، لأنها محرومة من ثرواتها الخاصة التي تستمد منها أصالتها، فهذه الأغاني تضيع في ظل الإنتاج الدولي و تجعلها غير منافسة وبعد دورات زمنية فقد تتعرض للنسيان. و يرى الأستاذ فريد عكس ذلك، إذ أن الإحتفاظ على التراث القديم و الإبداع يجب أن يتسايرا معا.

فالدفاع عن الموسيقى العربية و خاصة الموسيقى المغربية تظل محل اهتماماته. و يأسف غاية الأسف، فبخلاف على ما يجري في بعض الجاليات التي تحافظ على تراثها، فهو يلاحظ عن عدم وجود مركز ثقافي مغربي للدفاع عن هذا التراث الأصيل بالإضافة إلى قلة المبادرة الرسمية في تنظيم الحفلات الموسيقية...

صورة: استجواب مع أحمد المرابط "صوت المهاجر"

صورة: فريد و المنارة، فرقة فلكلورية نموذجية من مراكش (دقة المراكشية، التقيتيقة)

صورة مع عبد الهادي بلخياط، مستمع أكثر انتباه.

إن المشاريع التي يرغب فريد قيادتها تمشي كلها في هذا السياق أو في هذا الإتجاه: تنظيم قطع و أغاني لإستعماله الخاص (يحضر اسطوانة و هو لوحده يعزف على آلة العود) أو للأصوات الكبيرة للأغنية المغربية أو العربية لمن يريد تأديتها. تقديم غنائيات على آلة العود و أغاني و ما هي إلا مقتطفات لأشهر الأغاني المغربية أو العربية لجميع العصور. تقديم حفلات برفقة جوقه في عدده الكامل (لكن في الغالب نكتفي بالقدر الضئيل لأسباب اقتصادية وقلة الإمكانيات...).إن القيام بالأنشطة في الميدان الثقافي ليس بالأمر الهين، و قد لا يرتاح الفنان في ورطة الأسلاك التنظيمية. فكل تدعيم لتحقيق مشارعه يستحق كل الترحيب. و من المؤكد أن هناك من الجمهور و هم هواة الفن، عرب أو غير عرب يطلبون و يبحثون دائما عن الموسيقى ذات الطابع الرفيع. و لعل هذا مبرر أن يبقى الفنان متفائلا ليزيد في مسيرة الطرب و الغناء... و هذا بالنسبة لفريد شيء طبيعي كاستنشاق الهواء.